

عش ناضجًا (عش كاملاً)

تأتي كلمة (τέλειος) تسعة عشر مرة في العهد الجديد والتي تترجم "كامل" أو "بالغ" أو "تام"، فهي دعوة ووصية من المسيح مباشرة (مت ٥: ٤٨)، كما أنها دعوة على مستوى عالي "كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل"، وهي دعوة موجهة لجميع الناس وليس لصفوة الصفوة (كو ١: ٢٨)، والدعوة هنا أن يكون الإنسان كاملاً في المسيح.

وإذا بحثنا عن معنى τέλειος بعيداً عن الكتاب المقدس، نجدها مقرونة بالتححرر من القيود المرتبطة بالجسد، والتي تشمل الإحتياج إلي الطعام والإحتياجات الاجتماعية، والإحتياجات الجنسية، فنجد الباحثين عن الكمال، يفضلون العزلة والصوم تحرراً من إحتياجاتهم الجسدية، كما قد يمارسون بعض الممارسات المرتبطة بتعذيب الجسد.

ولكننا لسنا مدعويين إلي مثل ذلك النوع من أسلوب الحياة تحديداً، فدعوتنا هي وسط العالم وليس أن ننزل عنه (يو ١٧: ١٥)، ويعرف (حسام حشمت)، الإنسان الكامل على أنه "الشخص الذي نضج في مسيرة حياته الروحية للدرجة التي يوصف بها أنه من الكبار". ويصفه بأنه وصل إلي نقطة معينة أو طبيعة حياة معينة. وهنا يرتبط الكمال والنضوج بمعايير الله ويقاس بمدى الانسجام مع الروح القدس وقيادته لنا.

الإنسان الروحي

في (١ كو ٢: ١٤-١٦) نجد آية محورية ترسم لنا فرقاً بين نوعين من البشر:

الإنسان الطبيعي والإنسان الروحي،

فنجد أن الإنسان الطبيعي لا يستطيع أن يقبل ما لروح الله، فلا ينقاد به بشكل مباشر.

أما الإنسان الروحي هو الذي:

- يعيش حياة في انسجام مع روح الله.

- يعيش حياة مقاصدها تتفق مع مقاصد الله.

- مستعد لدفع تكلفة المسير مع الله (لو ٩: ٢٣). - منسجم في خطة الله.

وفي (١ كو ٣: ١-٣) نرى تقريباً بين الإنسان الروحي والإنسان الجسدي، ونرى أنه حتى المؤمنين يمكن أن يكونوا جسديين (أطفال في المسيح)، والتحدي هنا هو النمو الروحي والوصول إلي حالة النضوج، فنحن مدعوون أن ننمو في معرفة الله، وأن نعبّر الطريق من مرحلة كوننا أطفال في المسيح إلى مرحلة أن نكون كاملين في المسيح.

ويحاول البعض النمو من خلال تعلم مهارات إضافية (كالعزف على الآلات الموسيقية)، أو من خلال نمو الخدمة واتساعها، وعلى الرغم من أن تلك الأمور كلها جيدة، لكن الغرض من النمو الروحي هو نمو الكيان الداخلي أي الإنسان الباطن أي ثقل الشخصية.

نمو الشخصية

يجب علينا التفرقة بين الشخصية (personality) والشخصية (character)، فالأولى تشير إلى ألوان ومظاهر وجود الشخص، وقد تشمل الإندفاع والإعتراض والإنطوائية أو الإنبساطية، وهي ليست طباع سلبية أو إيجابية بالتحديد ولكن لكل منها مميزات وعيوب.

- أما الشخصية (character)، هي الكيان الداخلي فيمكن تنميتها وهي التي تحدد ما يلي:
- قدرة المرء على استغلال قدرات ومميزات شخصيته بطريقة حكيمة (فالشخصيات المعترضة يمكنها أن تستغل ذلك بطريقة جيدة بالإعتراض على الخطأ).
 - قدرة المرء على التغلب على محدوديات شخصيته والتأقلم معها (فقد تشكل خدمة الرب وسط الجسد تحدي للشخصيات الإنطوائية).

يستلزم الأمر تدريباً لتحقيق النمو، والمدرّب هنا هو الروح القدس، وتمثّل الحياة حلبة تدريب يتم تدريبنا فيها مدى الحياة، وهدف التدريب أن نستطيع القيام بأشياء لم تكن نستطيع القيام بها من قبل، وحتى يتم ذلك، يتعامل معنا المدربون كأننا نستطيع أن نقوم بهذه الأشياء بالفعل، وذلك هو التحدي، ويوسف هو نموذج لذلك، فعلى الرغم أنه لم ينضج بعد، إلا أنه وُضع في حلبة التدريب ومَرَّ بتحديات كثيرة خرج منها إنساناً ناضجاً. وقد يضعنا الروح القدس في تحديات، لكنه يتعامل معنا كأننا أناس ناضجين حتى نستطيع أن نصل إلى تلك المرحلة، وهناك الكثير من الوسائل التي يستخدمها الروح القدس في تدريبنا، سنتناول هنا أربع وسائل منها هي:

١ - الحقيقة ٢ - المسؤولية ٣ - الألم ٤ - الآخر.

وسنرى أن الشخص الناضج لديه مواقف محددة من كل واحدة فيهم.

١ - الحقيقة: الواقعية والصدق

الواقعية هي أن يستطيع المرء قراءة الواقع بشكل سليم، وأن يكون متلامس مع واقعه الحقيقي، وألا يكون مخدوعاً فيه، فقد يظن المرء أنه إنسان ناضج وهو في الحقيقة طفل، وقد يظن أن من حوله هم الأطفال وأنه هو أكثر نضوجاً ولا يحتاج إلى النضوج،

ملاحظة هامة من ملامح الطفولة: عدم القدرة على التعامل مع كلام النقد البناء.

ونقدم هنا ثلاثة أمثلة للواقعية:

(١) أن يكون المرء متصالحاً مع حقيقة شخصيته وضعفاته وقدراته وغير منخدع فيها، وأن يكون متصالحاً مع نفسه وقادرًا على تحملها وتحمل عبء معرفة حقيقتها، ولنا مثال في بطرس الذي انخدع في نفسه وظن أنه لن ينكر المسيح، لكن الواقع كان صادمًا له، وفي الحقيقة ليس هناك ما هو أصعب من عدم خداع النفس، وقد تعلم بطرس ذلك الدرس فقال "أنت تعلم أنني احبك" (يو ١٥: ٢١-١٧).

(٢) أن يكون المرء متلامسًا مع واقع السقوط ومع حقيقة أننا خطاة.

نحن نميل أن نكون المتحكمين، ولكننا كلما اقتربنا من الله أدركنا الآتي:

- حقيقة كوننا خطاة (أش ٦: ٥؛ ١ يو ٨: ١-١٠).

- هشاشتنا وضعفنا وسهولة سقوطنا في الخطية (داود).

- قدسية الله مما يجعلنا أكثر امتنانًا له بسبب كل الأمور التي تحملها منا قبل ذلك، هذا يجعلنا حذرين طوال الوقت، فلا نضع أنفسنا في دوائر تشجعنا على الخطأ (عب ١٢: ١) ويجعلنا ممتنين دائمًا لعمل النعمة.

(٣) التلامس مع المفاجأة الكبرى: وهي كوننا كائنات مخلوقة محدودة مسكينة مزاجية تعتمد على الآخر في كل شيء وفوق ذلك تعتمد على الله، وأحياناً ما نفقد التلامس مع واقع أننا بشر ونظن أننا آلهة لدينا كل المعطيات، ونستطيع أن نعرف كل شيء، وتلك من صفات مرحلة المراهقة التي لم تصل بعد إلي النضوج. وهنا نطرح مثالين لذلك الأمر:

- الرغبة في أن تكون لدينا الإجابة لجميع الأسئلة، ومن أهمها "لماذا يسمح الله بهذا الأمر" وذكرونا ذلك بقصة أيوب وهو يتسائل عن سبب بليته رغم صلاحه، وربما اعتقد أصدقاؤه أنهم مدركون الأمر، وحكموا على أيوب حكماً خاطئاً بناء على قصور إدراكهم لطريقة تعامل الله مع الأمور، وطريقة سير الحياة. وفي الحقيقة، لأننا كائنات محدودة، لن نستطيع تحمل معرفة كل شيء، وعلى الرغم أنه من حقنا أن نتسائل (مت ٢٧: ٤٦)، ولكن قد لا يجيبنا الله إجابة محددة معلوماتية، ولكن قد تكون إجابته عبارة عن احتواء أو حضن أو إلهام، وقد أدرك أيوب في نهاية التجربة كون الله معه، وتذكر محدوديته.

- إطار الصلاة، فكثيراً ما يتسائل البعض: "هل تغير الصلاة مشيئة الله؟" وإدراكنا لمحدوديتنا يعطينا إجابة حاسمة عن ذلك السؤال، وكثيراً ما نعتقد أن الله لا يقوم بعمله كما ينبغي، ونظن أننا أكثر حكمة ويمكننا أن نقوم بعمل أفضل، لكننا كائنات مسكينة أعطينا سلطاناً ليس له معنى أو قيمة إلا ونحن ننتم مشيئة الله، والصلاة نفسها هي جزء من مشيئة الله التي ينبغي علينا أن نقوم بها.

الجانب الآخر من الحقيقة هو الصدق (كو ٩: ٣) ونذكر هنا أنه من الشائع أن يقوم المرء وهو يحكي للآخرين عن موقف معين، بالتعديل فيه وذكر تفاصيل إضافية غير حقيقية ملفقة وجذابة حتى يجتذب المستمعين، وحتى يكسب اهتمامهم، وأما الشخص الناضج، فهو يذكر الموقف على حقيقته، وإن قول الحق يحتاج إلي إنسان ناضج.

إن من المخجل أن المجتمع الملتف حول الحق هو مجتمع كاذب، ولكن من المخجل أكثر أن المجتمع الملتف حول مبدأ النعمة والإقرار أننا كلنا خطاة، لكن كل فرد يتظاهر على من حوله أنه أقدم القديسين، ولا يعترف باحتياجه للمساعدة ولا يعترف بخطأه، ويشجعنا الكتاب على أن نعترف بأخطائنا بعضنا لبعض (يع ٥: ١٦).

٢ - المسؤولية: الجدية والمحاسبية

عند طرح هذا السؤال للشباب: "ليه انت لسة واقف في النقطة دي في مسيرة تبعيتك مع المسيح؟".

تتعدد الإجابات مثل: - ظروف الأسرة والتربية السيئة. - التعثر من قادة الكنيسة.

- الإحساس بعدم الاهتمام من قادة الاجتماعات ومن الكنيسة.

- الملل من الاجتماعات ومن طريقة التسبيح في الكنيسة.

- الصلوات غير المستجابة، ومنها أن يسعى المرء ناحية كلية معينة أو وظيفة معينة ولا يحقق النجاح.

والجانب المشترك في هذه الأجوبة هو "اتخاذ دور الضحية"، فيعتقد البعض أنهم ضحايا الكنيسة والمجتمع والبيت والله، غير مدركين لجدية الموقف وخطورته ومسئوليتهم الشخصية.

ونجد في (يو ٥) مثلاً لذلك: إنساناً مريضاً لمدة ٣٨ سنة منتظراً (الآخر) من يلقيه في البركة ولم يلقه أحد! بل كان جواب المسيح واضحاً أن يقوم هو بنفسه ويحمل سريره ويمشي (يو ٨: ٥)، وهنا التحدي هو تحمل المسؤولية.

- تحمل مسؤولية نفسك، خذ وجودك وحياتك بجدية. - تحمل مسؤولية التعافي من آثار البيت.
- تحمل مسؤولية تحدي المصاعب المجتمعية. - تحمل مسؤولية التحرك للأمام مع المسيح (في ١٣: ٣).
- الجانب الآخر من المسؤولية هو **المحاسبية** والذي نجده في (رو ١٤: ١٠-١٢) و (٢كو ٥: ١٠)، وهو في تحدي صريح لدور الضحية، فعلى الرغم من كون الإنسان ضحية للشر الواقع في هذا العالم، ولكنه أيضًا مسؤولاً عن حياته ووزناته التي تشمل الوقت والمال والإمكانيات.

٣- الألم: الصلابة والمرونة

- لا يستطيع الطفل تحمل الألم، وإذا تحمله يريد أن يعرف الجميع، وذلك على النقيض من الشخص الناضج، وعلينا أن نكون على استعداد لتحمل الألم (لو ١٤: ٢٧) ونطرح هنا مثالين لذلك:
- (١) **الألم الجسدية** التي تشمل ألم الجوع والإحتياجات الطبيعية، والشخص الناضج هو قادر على تلبية احتياجاته في الوقت الصحيح وبالطريقة الصحيحة، وهو قادر على تحمل الألم لفترة، ومثال لذلك يسوع المسيح الذي انتصر أمام التجربة رغم أنه كان صائمًا لمدة ٤٠ يومًا.
- (٢) **ألم الإهانة**، والذي قد يؤدي إلى الصراعات والمعارك وسط الأشخاص غير الناضجين غير القادرين على التحمل، ونرى المسيح وهو قادر أن يستدعي ١٢ جيشًا من الملائكة، لكنه صمت وتحمل الإهانة رغم قدرته.
- والشخص الناضج يتمتع بالصلابة وهي القدرة على التحمل، ولكنه قد يجتاز بمواقف صعبة قد تؤدي إلى الإنهيار ولا يستطيع أن يتحملها، وهنا يحتاج إلى المرونة التي بها يستطيع المرء بالرغم من انهياره أن يقوم مرة أخرى بنفس الصلابة.

٤- الآخر: التفرد والسخاء

- يميل الإنسان إلى الإستعطاف والبحث عن القبول والمحبة من الآخرين بأي طريقة، وقد يفقده ذلك تفرد له ولكن الشخص الناضج يستطيع أن:
- يكون مختلف عن المجتمع وأن يقول "قليل لكم أما أنا فأقول".
- ألا يكون تركيزه هو إرضاء الجميع بل إرضاء الله.
- يحصر تركيزه في دعوته وأن يكون الشخص الذي يريده الله أن يكونه.
- والجانب الآخر هو السخاء، فالطفل يكون منحصراً في الأخذ ونادراً ما يفكر في الآخر وفي العطاء، لكن نجد الشخص الناضج سخي كثير العطاء،
- إن مفهوم المسيحية عن الحب هو العطاء (غل ٢: ٢٠) فالشخص الناضج يعطي ويعطي بسخاء ويعطي كثيراً ويعطي بانتظام.